Archive of SID.ir

• دريافت ۱۴۰۱/۰۱/۱۶
• تأييد ۱۴۰۱/۰۸/۰۳

قراءة في قضيّة الطّبع والتكلّف في النّقد العربي القديم «آراء الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق نموذجاً»

علي پورحمدانيان*
حجّت رسولي**

الملخّص

قضيّة المطبوع والمتكلّف من أشهر القضايا النّقديّة الثنائية التي احتلّت مكاناً واسعاً في النّقد العربي القديم. تعرّضت مفاهيم المطبوع والمتكلّف لتعاريف كثيرة من قبل النّقّاد وظهرت تلواً لذلك دراسات من قبل الباحثين في العصر الحديث حاولت أن تبيّن وتحلّل موقف كلّ من النّقاد القدامى حول المطبوع والمتكلّف وهذا الأمر نفسه يدلّ على أهميّة هذه القضيّة. علاقة الغرض والمضمون الشّعري وتأثير السّيرورة التاريخيّة على تطوّر مفاهيم المطبوع والمتكلّف وحتّى المصنوع من الموضوعات التي لم تنل حظها من الدراسات الشاملة والوافية من قبل النقّاد ولذلك سعى هذا المقال أن يسلّط الضّوء على دور الفترة التاريخيّة والأفكار السّائدة في المجتمع وتطوّره في رؤية النقّاد بالنسبة إلى مفهومي المطبوع والمتكلّف. بحثت هذه الدّراسة عن التأثّر بالآراء المنطقيّة التي جلبتها السيرورة التاريخية في الإقرار بوجود الشّعر المصنوع وجودته وكذلك العلاقة بين قضيّة المضمون الشّعري أو الغرض الشّعري والطّبع والتكلّف. حاولت هذه الدّراسة أن تستعيد القراءة في آراء كلّ من النّقّاد، الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق في قضيّة الطّبع والتكلّف وفقاً للمنهج الوصفي- التحليلي وارتكازاً على الطّابع النّقدي. من النّتائج الهامّة التي توصّل إليها هذا المقال يمكن الإشارة إلى أنّ لدور الفترة التاريخيّة والأفكار السّائدة في المجتمع وكذلك تطوّر مجتمع النّاقد أثراً هامّاً لا يمكن تجاهله في تحديد مفهومي المطبوع والمتكلّف بحيث يُشاهد تأثّرٌ بالآراء المنطقيّة التي جلبتها ثقافة النقّاد الواسعة والذي أدّى إلى الإقرار بوجود الشّعر المصنوع وجودته وأنّ قضيّة المضمون الشّعري أو الغرض الشّعري من القضايا الهامّة التي أصبحت في علاقة مباشرة مع ثنائيّة الطّبع والتكلّف.

الكلمات الرئيسة: النّقد القديم، المطبوع والمتكلّف، الجاحظ، ابن قتيبة، ابن رشيق.

* طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة الشّهيد بهشتي (الكاتب المسؤول) ali.purhamdanian@gmail.com
** أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشّهيد بهشتي h-rasouli@sbu.ac.ir

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

المقدّمة

ثنائيّة الطّبع والتكلّف من الموضوعات الهامّة التي تناوشتها العرب وتمحّص فيها النّقد الأدبي القديم، وظهرت في هذا الموضوع آراء ووجهات نظر متوافقة ومتضادّة من قبل النقّاد القدامى وكان هذا الموضوع مثار جدلٍ لفترة من الزّمن بحيث ولّد البحث والتفتيش عن قضيّة المطبوع والمصنوع مفردات ومصطلحات لم يألُ لها العرب إهتماماً كثيراً من قبل، وقضية المطبوع والمتكلّف كذلك تعد من هذه الموضوعات وتجدر الإشارة بأنّ هذا المقال ليس في صدد وضع الحاجز بين المتكلّف والمصنوع وتقديم تعريف خاص لكلّ من المصطلحين، أو أن يفصل بينهما بتدقيق وجهد، فالحديث عن المتكلّف يتبعه الحديث عن المصنوع والصّنعة ونظراً لتداخل المفهومين في الأدب العربي القديم قد أشار التحليل النّقدي للعرب القدامى إلى الآراء المختلفة في قضيّة المطبوع والمتكلّف والمصنوع في أبواب جمعت بين المصطلحات المذكورة.

كان لسيرورة الزّمن الأثر الهام في تحكك التعاريف التي ظهرت في هذا المجال ووصولها إلى تعاريف أجمع وأكثر شمولاً، ولخروج الشّعر من البادية العربيّة واختلاط الثّقافة العربيّة مع الثّقافات الأخر الفضل السّبق في ذلك والحقيقة أن الصراع بين القديم والجديد من الموضوعات الهامّة التي يجب أن ينتبه إليها في دراسة قضيّة المطبوع والمتكلّف حيث ولّد الصّراع بين القديم والجديد الكثير من القضايا والموضوعات، منها الثّنائيّات التي أصبحت منعطفا هاماً في تطوّر الوجهات النّقديّة فكان لكلّ اتجاه ناصروه وأدّى هذا الاختلاف إلى بلورة آراء النّقاد والأدباء بشكل واضح ويمكن القول بأنّ تطوّر النّقد الأدبي وكثرة الحديث في قضيّة الطّبع والتكلّف قد يكون ناتجاً عن هذا الخلاف.

يحاول هذا البحث أن يُمعن النّظر في آراء كلّ من النّقاد، الجاحظ (۲۵۵-۱۵۹) وابن قتيبة (۲۷۶-۲۱۳) وابن رشيق (۳۹۰-۴۵۶) حول قضيّة المطبوع والمتكلّف

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

ويكمن سبب اختيار هؤلاء النقّاد في أنّ ابن قتيبة ظهر بفاصلة غير بعيدة عن الجاحظ إلّا أن ابن رشيق ظهر مئة سنة بعد ابن قتيبة وتعمّدنا في اختيار ابن رشيق كي نرى مدى تأثير الفاصلة الزمنية على القضيّة المعنيّة والسبب الآخر هو أنّ النقاد الثلاثة هم من الأوائل الذين تناولوا هذه القضيّة وشرحوها ودرسوها في آثارهم. هذا المقال في صدد دراسة دور الفترة التاريخيّة والأفكار السّائدة في المجتمع وكذلك تطوّر المجتمع في تحديد مفهومي المطبوع والمتكلّف وحتّى المصنوع عند النقّاد، البحث عن تأثير الآراء المنطقيّة التي جلبتها تلاقح الحضارات في الإقرار بوجود الشّعر المصنوع وجودته وكذلك العلاقة بين قضيّة المضمون الشّعري أو الغرض الشّعري والطّبع والتكلّف هو الموضوع الهامّ الذي يفتّش عنه هذا المقال النّقدي فيقوم الباحثان بنقل آراء كلّ من النّقاد (المذكورين) ويبدآن بتحليلها والبحث عن مواطن التّشابه والاختلاف بينها كي يصلا إلى الرّؤية العامّة لكلّ من النقّاد في قضيّة الطّبع والتكلّف وفقاً للمنهج الوصفي_التحليلي وارتكازاً على الطّابع النّقدي.

يحاول هذا البحث أن يردّ على السؤالين التّاليين:

١. كيف أثّر تطوّر الثّقافة والسيرورة التّاريخيّة على تغيير مفهوم كلّ من الطّبع والتكلّف؟

٢. ما هي العلاقة بين الغرض والمضمون الشّعري مع ثنائيّة الطّبع والتكلّف؟

سابقة البحث

قضيّة الطّبع والتكلّف من موضوعات النقد العربي القديم. من الصّعب أن نضع حاجزاً بين مفهومي المتكلّف والمصنوع، والكثير من الدراسات التي تذكر المصنوع مع المطبوع هي قريبة من موضوع البحث. يجب أن نبحث عن بوادر الحديث عن الطّبع والصّنعة في آراء الأصمعي وعلماء نبغوا بعده في السّاحة النّقديّة منهم الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق، لكن بالنّسبة إلى أدباء العهد الحديث والذين حاولوا استعادة قراءة

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

هذه القضيّة والتطرّق إليها بشكل علمي يمكن أن يُشار إلى الكاتب محمّد الهيّاوي فكتابه الذي يحمل عنوان «**الطّبع والصّنعة في الشّعر**» يحكي عن الطّبع ومميّزات الطّبع وكذلك عن الصنعة ومميّزاتها، والجمود والتّجديد وتأثير فطرة العرب في الشّعر. يمتلك هذا الكتاب أسلوباً سلساً في تحليل الآراء والأشعار وأغلب ما يُشاهد في هذه الدّراسة آراء الكاتب واستنباطاته الشّخصيّة حول الموضوع. طُبع هذا الكتاب عام ١٣٥٨ ه من نشر مكتبة النهضة المصريّة.

من الباحثين الأخر الذين كتبوا في قضيّة الطّبع والصّنعة تجدر الإشارة إلى الباحث مصطفى درواش في كتابه «**خطاب الطّبع والصّنعة، رؤية نقديّة في المنهج والأوصول**». يسلّط هذا الكتاب الضّوء على مصطلحي الطّبع والصّنعة في الدراسات القديمة وفي الدراسات النقديّة الحديثة ويبحث الكاتب عن تعريف جامع للمصطلحات في كلٍّ من الاتجاهات النّفسيّة والاجتماعية والبنيويّة والأسلوبيّة للنّقد. ومن النتائج الهامّة التي توصّل إليها هذا الكتاب، هي أنّ الرّأي الرومانتيكي يرى أن الطّبع منجز لا يتناهى لأنّه يستمدّ طاقته من قوى غير متناهية بينما الصّنعة ليست ألماً أو أسىً أو بكاءً، وتقديس الغيبي فَرَض على هذه القراءة الكفاية بالطّبع وتعداد فضائله وأن الطّبع ظاهرة جماعيّة محسوسة وليس هبة من قوى خارقة، طُبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٥ من منشورات اتّحاد الكتاب العرب في دمشق.

بوعامر بوعلام من الباحثين الأخر الذين طالعوا حول قضيّة المطبوع والمتكلّف.«**جدل الطّبع والصّنعة في النّقد العربي القديم**» عنوان البحث الذي قدّمه بوعلام في هذا المجال، طُبع هذا المقال عام ٢٠١٤ في مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، المجلّد٧، العدد ٢، صفحات ٥٩_٤٧. يبحث هذا المقال عن الطّبع والصنّعة عند الأصمعي والجاحظ ودور الخلفيّات الحضاريّة والتاريخيّة لتحديد مفهومي الطّبع والصّنعة والعلاقة بين الصّنعة والتكلّف، ومن النتائج التي توصّلت إليها هذه الدّراسة هي أن مرجعيّة الجدل القائم في الصّنعة ليست إلا من إنتاج الأثر الفني

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

نفسه وما يتميّز به من تمظهرات فنيّة بارزة وأمّا المفهوم المعقّد للطّبع وكيفيّة تجليّاته في النّص الأدبي فمسألة تتعلّق بالمباحث النّظرية الكبرى والقضايا الفلسفيّة المجرّدة.

اسماعيل حسين فتافيت كذلك من الباحثين الذين درسوا قضيّة الطّبع والتكلّف، فقدّم في مقالته «**قضيّة الطّبع والتكلّف في التراث النّقدي**» تعاريف النّقاد العرب من الطّبع والتكلّف وجعَل الصّنعة ظاهرة أخرى بين التكلّف والطّبع ومن النتائج التي توصّل إليها هذا المقال هي أن النقّاد قد خلطوا بين بعض المفاهيم من حيث الدّلالة، فحدّ الطّبع عند بعضهم قد يحتوي على شيء من الصّنعة وقد يخلط بعضهم بين الصّنعة والتكلّف ويراهما شيئاً واحداً. طُبع هذا المقال عام ۲۰۱۵ في مجلّة كليّة الآداب، جامعة مصراتة، العدد الخامس، صفحة ۱۱۱_۹۵.

ومن الباحثين الذين قدّموا دراسة وافية في قضيّة المطبوع والمصنوع يمكن أن نشير كذلك إلى هيرش محمّد أمين وسعدون حميد صالح، فمقالة «**قراءة أخرى لمعياري الطّبع والصّنعة في القرن الثّالث الهجري**» لهذين الباحثين هي ردٌّ على الأخطاء التي وقع فيها نقاد العصر الحديث في تمييزهم بين مصطلحات الطّبع والارتجال والصّنعة والتكلّف ومن أهمّ النتائج التي توصّل إليها هذا المقال هي أنّ الصّنعة ليست مناقضة للطّبع لأن آلة الصّنعة هي الدّربة والقراءة والرّواية وتثقيف ذات الشّاعر وإتقان الفنّ الشّعري من حيث الشّكل والمضمون. طُبع هذا المقال عام ۲۰۱۹ في مجلّة كرميان لجامعة كرميان كردستان العراق، صفحة ۲۰۲_۱۸۸.

أشرنا في الفقرات السّابقة إلى أهم الدراسات والأبحاث التي قدّمت في مجال قضيّة المطبوع والمتكلّف وكما ذكرنا في المقدّمة لم ينحصر الحديث عن المطبوع والمتكلّف في موضوع واحد كتعريف المصطلحات مثلاً أو ترجيح كلّ من جوانب هذه الثّنائيّة أو تحليل آراء القدامى، بل تعدّى الحديث إلى موضوعات فرعيّة أخر منها مميّزات الطّبع والصّنعة ودراسة الطّبع والصّنعة في المدارس النّقديّة المختلفة، أمّا هذا المقال الذي نحن في صدده فهو محاولة لدراسة المضمون والغرض الشّعري وأثره

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

السّيرورة الزّمنية في تغيير وتوسيع مفهومي المطبوع والمتكلّف عند كلّ من النّقاد الجاحظ، ابن قتيبة وابن رشيق وهم أساطين للنّقد العربي القديم والنقّاد الأوائل الذين أجالوا النّظر في هذا الموضوع.

ثنائيّة الطّبع والتكلّف وشرح المفاهيم

ظهرت للمطبوع والمتكلّف والمصنوع تعاريف كثيرة وكثرة التّعاريف وتطوّرها واختلاف النقّاد حولها أصبحت جدليّة أضافت المزيد من الإبهامات حول هذه القضيّة و«إنّ كثيراً من نقاد العرب قديماً وحديثاً لم يفهموا مفهوم الطّبع والصّنعة ولم يميّزوا جيّداً بينهما، فعدّوا الصّنعة مخالفاً للطّبع ووضعوا الصّنعة مرادفاً للتكلّف. وجعلوا من الصّنعة شيئاً مذموماً قبيحاً كما ينظرون إلى التكلّف.»[1] وجاءت جدليّة التعاريف في هذا المجال إثر شحّة المصطلح النّقدي عند النّقاد العرب فالطّبع عند بعض النقاد كان يُقارن الغريزة والمنبعث من النّفس تلقائيّاً دون أن يتدخّل فيه الشّاعر وعند البعض هو ما يصدر بشكل ارتجالي دون أن يحتاج صاحبه إلى زمن للتريّث والتّفكير وأمّا بالنّسبة إلى العلاقة بين المصطلحات، فالتكلّف كان يقابل الطّبع تارة والصّنعة تقابله تارة أخرى، وفي بعض الأحيان كانت الصّنعة على حدّها شي آخر تدخل على المطبوع والمتكلّف، تكثر من جماليّة العمل الأدبي وتحطّ منه.

لا شك أن كلّ الأقوال والآراء التي صُدرت في هذا الحقل هي قد استُمدّت من خلفيّة النقّاد الثّقافيّة والعلميّة وحتّى البيئيّة ولو أنّ العاطفة والذّوق هي النّقطة الأساسيّة والمعيار الرّئيسي الذي عوّل عليه النّقد العربي القديم في تقييم الأدب لكن «مع ظهور الصّراع بين القدامى والمحدثين في العصر العبّاسي أخذ تصنيف الشّعراء منحى جديداً وإن كان قد اعتمد على فكرة الطّبع، بيد أن المطبوع أصبح هو كلّ الشّعر العربي القديم الذي يمثّل مذهب الأوائل وعمود الشّعر الذي يجب على الشّاعر المحدث تعلّمه والالتزام به، أمّا المصنوع فهو ما خرج عن هذا المذهب من شعر

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

المحدثين ولجأ إلى المعاظلة أو التعسّف في التصوير والإسراف في البديع.»[۲] و كما أشير في مقدّمة البحث للصّراع بين القديم والجديد دور رئيسي في ازدهار وتوسّع الحقل النّقدي عند العرب.

تعرّضت الكثير من المفاهيم النّقديّة والمصطلحات الأدبيّة لتفاسير عدّة من قبل النّقاد والأدباء في العهد القديم وهذا الأمر قد نتج عن الاختلاف البيئي واختلاف مدارج الثّقافة والعلم عند كلّ من النقّاد سواء عن عدم وجود مناهج علميّة في دراسة الموضوعات النّقديّة أم عن شحّة المصطلحات والمفاهيم النّقديّة، فبالنّسبة إلى التعاريف التي ألقيت حول الطّبع والبواعث الأخرى لسرد الشّعر والكلام، يقول الجرجاني:

«وملاك الأمر في هذا الباب خاصّة ترك التكلّف ورفض التعمّل والاسترسال للطّبع، وتجنّب الحمل عليه والعنف به؛ ولست أعني بهذا كلّ طبع، بل المهذّب الذي صقله الأدب وشحذته الرّواية، وجَلَته الفطنة وأُلهم الفصلُ بين الرّدىء والجيّد، وتصوّر أمثلة الحسن والقبح»[۳] فالطّبع وحده لم يكن كافياً عند الجرجاني بل يجب أن يكون مهذّباً كي يستطيع أن يفي بالغرض ويضع الجرجاني في تعريفه التكلّف مقابل الطّبع أمّا أبو اسحاق الحصري فهو يعتقد بأنّ:

«الكلام الجيّد الطّبع مقبول في السّمع، قريب المثال، بعيد المنال، أنيق الدّيباجة، يدنو من فهم صاحبه، كدنوّه من وهم صانعه، والمصنوع مثقّب الكعوب، معتدل الأنبوب، يطّرد ماء البديع على جنباته، ويجول رونق الحسن في صفحاته، كما يحول السّحر في الطّرف الكحيل والأثر في السيف الصّقيل وحمل الصانع شعره على الإكراه في التعمّل وتنقيح المباني دون اصلاح المعاني يعفي آثار صنعته ويطفئ أنوار صيغته ويخرجه إلى فساد التعسّف وقبح التكلّف؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه، وتنفثه وساوسه، من غير إعمال النّظر، وتدقيق الفكر، يخرجه إلى حدّ المشتهر الرّث، وحيّز الغثّ؛ وأحسن ما أجري إليه، وأعوّل عليه، التوسّط بين الحالين، والمنزلة بين المنزلين، من الطّبع والصّنعة.»[۴]

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

يقدّم أبو اسحاق الحصري شرحاً شاملاً ووافياً عن الكلام المطبوع ويُشير إلى ميزات وصفات تختصّ بالكلام المطبوع تفصله عن المصنوع والمتكلّف وهو كذلك يلمّح في طيّات تعريفه للمطبوع إلى المتكلّف والمصنوع ويمكن القول بأن اتّباع الطّبع وتفضيله على الباعث الآخر للكلام وهو المصنوع أو المتكلّف من الأفكار والآراء التي حايد إليها النقّاد الأوائل ويُشاهد بأن أبي اسحاق قد شرح المسألة بشكل أدبي وحاول أن يفصل بين المطبوع والمتكلّف وحتّى المصنوع.

من أجمل التّعاريف الأخرى التي قيلت في المطبوع هو قول المرزوقي: «إنّ الدّواعي إذا قامت في النّفوس، وحرّكت القرائح، أعملت القلوب، وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضروريّاتها، نبعت المعاني ودرّت أخلافها، وافتقرت خفيّات الظّواهر إلى جليّات الألفاظ، فمتى رُفض التكلّف والتعمّل، وخلّي الطّبع المهذّب في الرّواية، المدرّب في الدّراسة، لاختياره، فاسترسل غير محمول عليه، ولا ممنوع ممّا يميل إليه، أدّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر، وعفوا بلا جهد، وذلك هو الذي يُسمّى المطبوع.»[۵] تعريف المرزوقي وموقفه من المطبوع والمتكلّف من التعاريف الجميلة والأدبيّة التي جعلت الطّبع مقابل التكلّف ولايرى القارئ أثراً للصّنعة في هذا التعريف، وفي التّعريف شمولية وكلّيّة تفوق على التعاريف السّابقة.

أمّا تعريف مصطلح التكلّف أو المتكلّف، فجاء في لسان العرب:

«المتكلّف: العرّيض لما لايعنيه..، وكلّفه تكليفاً: أي أمره بما يشقّ عليه. وتكلّفت للشّيء: تجشّمته على مشقّة وعلى خلاف عادتك»[۶] أمّا حازم القرطاجني فإنّه يجعل للتكلّف أمارات تظهر واضحة جليّة في البيت الشّعري، وتتحقّق الكلفة عنده إمّا «بتوعّر الملافظ، أو ضعف تطالب الكلم، أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج، وإمّا بتقديم وتأخير، وإمّا بقلب، وإمّا بعدل صيغة عن صيغة هي أحقّ بالموضع منها، وإمّا بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعاً في الكلام منها»[۷].

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

أمّا المتكلّف في قاموس أبي هلال العسكري ؛ فهو «طلب الشّيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بالسّهولة. فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد، وتنولت ألفاظه من بعد فهو متكلّف.»[۸] وروى أنّه قال بريّاً من الصّنعة «والصّنعة النّقصان عن غاية الجودة، والقصور عن حدّ الإحسان.»[۹] يعتقد العسكري بأن الشّاعر أمام مصدرين لقرض الشّعر إمّا أن يكون الشّاعر ذات قريحة سليمة طُبع الشّعر على قلبه وإمّا أن يكون من المجتهدين في تنقيح الشّعر وتعديله وتصحيحه حتّى يبلغ درجة الجودة ووفقاً للشّاهد السّابق، فالطّبع الشّعري هو موجودٌ في ذات الشّاعر، ويجب أن تكون هناك خلفيّة وأرضيّة للطّبع كي تتحلّى هذه الفكرة المطبوعة أو الكلام الصّادر من الطّبع بوشي الصّنعة والتنميق.

الطّبع والتكلّف عند الجاحظ

يعتقد الجاحظ بأن قضيّة قبول الشّعر والكلام لم تكن ترتبط بنفس المتلقّي فقط وللطّابع اللفظي للكلام تأثيرٌ مهم لا يمكن التخلّي عنه ولذلك يؤكد الجاحظ على الأمرين في البيان والتبيين ومن هذا الباب يفتح نافذة على قضية الطّبع والتكلّف. يعتقد الجاحظ بأن العرب القدامى هم أهل الكلام المحكّم فجاء كلامهم على سجيّته الأصليّة من استخدام اللفظ والمعنى في موضعه المناسب والحفاظ على روح الكلام اللطيفة التي يأنس معها القارئ ولم يجعلوا أنفسهم في ضيق من استخدام المفردات المتكلّفة والصّعبة وذلك حين قال:

«ولم أجد في خطب السّلف الطيّب والأعراب الأقحاح، ألفاظاً مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً رديئاً، ولا قولاً مستكرهاً. وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولّدين، وفي خطب البلديّين المتكلّفين ومن أهل الصّنعة المتأدّبين وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التحبير والتّفكير.»[۱۰]

كأنّ الجاحظ ينصر الطّبع على التكلّف في بداية الأمر لكن على القارئ أن يُطيل النّظر في الشّاهد وخاصّة في كلٍّ من مفردات «الألفاظ المسخوطة» و«المعاني

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

المدخولة» وحتّى «المتكلّفين» و«أهل الصّنعة» فالجاحظ يجمع بين المصطلحات والألفاظ التي أثارت البحث والجدل بين العلماء والنقّاد والذي «يبلغ عندهم درجة من الحدة والرّاديكاليّة، ليصبح ثورة عارمة وجذريّة على التصوّر نفسه، لا على مرتّباته فحسب. ومن هنا كان موقفهم من قسمة الطّبع والصّنعة موقف الرّفض الصّريح والدّعوة إلى إعادة النّظر والتّصحيح.»[۱۱] يعتقد الجاحظ بأنّ المطبوع لم يتحدّد في انتقاء الألفاظ الواقعة على القلب والسّمع فقط، بل يتعدّى ذلك إلى المعاني، فعلى المعنى أن لا يكون لاجئاً إلى النّفس بل عليه أن ينبعث من قرارة القلب كي يقع على الأفئدة. والجاحظ من أقحاح العرب وهو ربيب الباديّة فلذلك يعتقد بأن الكلام يجب أن يكون محكماً خالياً من النواقص وعلى الكلام أن يُصدر من الطّبع كي يقع على الطّباع. يعتقد الجاحظ بأن الاصطكاك بأهل البلد وأهل الصّنعة الذين سمّوا أنفسهم أدباء واتّخذوا الأدب دأبهم في الأخير وحتّى الخطباء المولّدين هو السّبب الرّئيس لإثارة جدل الطّبع والتكلّف وتجدر الملاحظة بأنّ الجاحظ يذكر مصطلحي «المتكلّفين» و«أهل الصّنعة» كليهما فيجعل القارئ أمام ظاهرتين؛ الظّاهرة الأولى هي التكلّف وفي معتقده ناتجة عن البلديين أمّا الظّاهرة الثّانية فهي الصّنعة وكأنّ المتأدّبين هم المقرّبون لها.

يستشهد الجاحظ في مستهل حديثه عن قضية المطبوع والمصنوع بقصيدة للشاعر سويد ابن كراع العكلي ويعتقد الجاحظ بأن هذه القصيدة تستطيع أن تشرح فكرته فيما يتعلّق بالشّعر المطبوع والمصنوع بشكل كلي والتي مطلعها؛

أبيت بأبواب القوافي كأنّما أصادي بها سرباً من الوحش نزّعا
أكالئها حتّى أعرّس بعدما يكون سُحيراً أو بَعيداً فأهجعا[۱۲]

يحكي استشهاد الجاحظ بهذه القصيدة تأكيد فكرة الصراع الذي قد نشب بين أتباع الشعر المتكلّف والمصنوع حيث سويد بن كراع نفسه من شعراء الدّولة الأمويّة والذي عاصر الفرزدق وجرير. تشير القصيدة التي استشهد بها الجاحظ إلى كيفية إنشاء

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

الشعر وكيف أن الشاعر يجمع القوافي ويأتي بالمعني وينسقها كي يصبح شعره في النهاية شعراً بليغاً يجمع بين الطبع وصناعة الشعر.

فيما يتعلّق بموقف الجاحظ من الشعر المطبوع والمتكلّف، يقدّر الجاحظ ويعظّم شأن الأفكار التي نشأ عليها ونشأت عليها العرب القدامى نظراً للبيئة التي ترعرع فيها ولا شك أنّ رأي الجاحظ حول أثر البيئة على الطّبع ودور الباديّة وأثرها في ازدهار الطّباع هو من آراء العرب القدامى في الشّعر ورسالته وكيفيّة صوغه فما إن يتجاوز الأديب والإنسان صفاء البادية وهدوءها ويترك المشاعر والعواطف البدويّة التي نشأت في الضّمير إلّا ويقع في فخّ التصنّع واقتناع التكلّف و«إنّ الثّقافة العقليّة تُفسد البديهة الشّعريّة لأنّها تفتح أمام الذّهن أكثر من سبيل وتضع أمامه أكثر من احتمال، فيحار الشّاعر بين التفكير والتّعبير. أمّا البديهة فإنّها تبرز ما يجيش في طبع المرء قبل أن تمسه حدّة العقل وهكذا نحسّ في شعر البديهة بنبض الحياة أكثر ممّا نحسّ بمنطق العقل.»[۱۳] وهذا لم يكن رأي الجاحظ فقط، بل صحّ العلم الحديث على قدرة الطّبيعة ودورها في اجتلاب الأفكار والأحداث التي شغلت الإنسان في التفكير عن مصادرها وبوادرها إلّا أنّنا نقول بأن محايدة الجاحظ إلى الشّعر المطبوع فهي ناتجة عن الفكرة العامّة التي عن البيئة الجاهليّة والعرب القدامى وهذا ما يؤيّد رأينا في تأثير ظروف العصر وموقفه التاريخي من القضيّة النقديّة المعنيّة.

لم يكن حقل النّقد الأدبي في الجاهليّة موسّعاً إلى درجة يحكم الموضوعات والظّواهر النّقديّة حسب موسوعة لغويّة واحدة تقوم بالتمييز بين المطبوع والمتكلّف إلّا أن هناك آراء مبعثرة للنابغة والأصمعي وآخرين جاءت في كتب مختلفة وبشكل ملخّص، لكن يجب أن لاننسى بأن الجاهليين كانوا يعتقدون بالملكات التي تلهم الموضوعات والمعاني على روح الشّعراء ولعلّ هذا الأمر من الدّعائم الهامّة التي تؤيّد رأي ناصري الطّبع و المطبوع على التكلّف والصّنعة في أشعار الجاهليين وليس هذا الأمر فحسب بل أتت فكرة ترجيح الطّبع على التكلّف والصّنعة وفقاً لنظرة ترجّح القديم

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

على الجديد وهذا ما أنكره ابن قتيبة وانتقده[١٤]. أمّا الجاحظ فيقول:

«كلّ شيء للعرب إنّما هو بديهة وارتجال، وكأنّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة...ولا حاجة بنا مع هذه الفقر إلى الزّيادة في الدّليل على ما قلنا، ولذلك قال الحطيئة: "خير الشّعر الحولي المحكك" وقال الأصمعي: "زهير بن أبي سلمى، والحطيئة وأشباههما، عبيد الشّعر.." وكان يُقال: لولا أن الشّعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتّى أدخلهم في باب التكلّف وأصحاب الصّنعة، ومن يلتمس قهر الكلام، واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهواً و رهواً، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا.»»[١٥] يؤكد الجاحظ في الشّاهد السّابق على البداهة والارتجال عند العرب والابتعاد عن المكابدة وإجالة الفكر ويتطرّق إلى عبيد الشّعر وهناك ملاحظة هامّة وهي أنّ كلام الجاحظ بالنّسبة إلى عبيد الشّعر كلامٌ منقول ويُفهم من هذا الحديث أن «قهر الكلام» و«اغتصاب الألفاظ» من العناصر الرّئيسة التي تساعد الشّعر المتكلّف والمصنوع والجاحظ يضع الطّبع والالتزام به مقابل الصّنعة والتكلّف. أما الجاحظ نفسه فيعلّق على هذا الكلام المنقول بالعبارات التّالية؛

«ومن تكسّب بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسّادة، في قصائد السّماطين، وبالطّوال التي تُنشد يوم الحفل، لم يجد بُدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما.»[١٦]

وفي هذا الشّاهد إشارة إلى قضيّة الغرض الشّعري والمضمون فتعدّ العاطفة من العناصر الهامّة التي تلعب دوراً هامّاً في التمييز بين المطبوع والمصنوع عند الجاحظ ولذلك تطرّق الجاحظ إلى الموضوعات التي قصدها الشّعراء وتوصّل إلى أنّ الموضوعات التي تكون أقرب للنّفس تعدّ ضمن الموضوعات التي تنبعث من الطّبع وتختلف عن المتكلّف وهذا يعني أن الطّبع في مداخلة مباشرة مع العاطفة ونفسيّة الشّاعر، فحينما يعدّ الجاحظ الشّعر المدحي من طراز الصّنعة فهو يُشير إلى التكسّب

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

ومدّ الأيدي إلى الممدوح للحصول على متعة مادّيّة فإذاً يصبح الطّبع هنا في الدّرجة الثّانية «لأنّ المديح تلازمه الصّنعة التي تُثبت جودتها في الأداء الفنّي، والطّبع يُلازم دون المديح.»[۱۷] ومع ذلك أشار النقّاد القدما إلى الآليّات التي تدع المدح يلطف ويبتعد عن التكلّف في اللفظ وحتّى المعنى ولذلك يقال: «وقد اشترطوا أن يقلّب الشّاعر شعره وينتقي أجوده كلماً ورأياً، لكي يستطيع أن يوافق بين ما يقول ومقتضى الحال، ولكي يُحرز جائزة الممدوح ويستدر كرمه.»[۱۸] وتستدعى هذه الآليّات مقدّمات وظروفاً تخرج المدح كغرض شعري من دائرة الطّبع.

ومن أقوال الجاحظ الأخرى في المطبوع والمتكلّف: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتاً وزمناً طويلا، يردّد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلّب فيها رأيه، اتّهاماً لعقله، وتتبّعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره؛ إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوّله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمّون تلك القصائد: الحوليّات والمقلّدات والمنقّحات والمحكمات ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً.»[۱۹] لم يكن الجاحظ منكراً للمنتمين إلى الصّنعة وفضلهم في الشّعر والأدب فهم احتلّوا مكانة واسعة بين الشّعراء والتزموا الصّنعة كي يصلوا إلى درجة الفحولة في الشّعر والأدب، أمّا هذا الكلام فلايُنفي وضع الشّعر المصنوع أو المتكلّف أمام الطّبع والشّعر المطبوع. يبدو من كلام الجاحظ أن الشّعر المصنوع يحتاج إلى مدة زمنية طويلة كي يصل إلى درجة الجودة وأن التنقيح وإمعان النّظر المتكرّر في القصيدة من صفات وميزات الشّعر الذي يميل إلى الصّنعة.

من النقّاد الّذين أخذوا على الجاحظ رأيه بالنّسبة إلى قضيّة المطبوع والمصنوع وتفضيل كلّ منهما على الآخر هو شوقي ضيف حيث قال: «فالجاحظ ينقض دعواه بما يذكره من أنّه وجدت طائفة عند العرب كانت تكدّ طبعها في عمل الشّعر وإنشائه، وكانت تقابلها طائفة أخرى لاتبلغ من التكلّف غايتها وهي طائفة المطبوعين كما يسمّيهم الأصمعي»[۲۰] يبدو رأي شوقي ضيف بالنّسبة إلى رؤية الجاحظ عابراً دون

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

تحليل وتعمّق، لأنّ الجاحظ ولو بدا محايداً إلى الشّعر المطبوع ولعلّه فضّل هذا النّوع من الشّعر على المصنوع منه لكنّه لايُنكر الشّعر المصنوع لأنّ العرب أقرّت به حتّى ألّف الشّعراء المنتمون إلى هذا الباب قصائد وآثار أدبيّة خالدة جعلتهم في صف فحولة الشّعراء وكما يقول الجاحظ:

«وكانوا إذا احتاجو إلى الرّأي في معاظم التّدبير ومهمّات الأمور ميثوه في صدورهم، وقيّدوه على أنفسهم، فإذا قوّمه الثّقاف، وأدخل الكير، وقام على الخلاص، أبرزه محكما منقّحاً، ومصفى من أذهان الأدناس مذهّبا»[٢١] فالجاحظ لم يكن مخالفاً للصّنعة ولعلّ التكلّف هي الصّفة التي يمكن أن توضع عنده مقابل الطّبع وأمّا بالنّسبة إلى رأيه، فهو قد يرجّح الشّعر الذي مصدره الطّبع الذي يكون على مستوى عال من الأدبيّة والفنّية.

رأي ابن قتيبة في المطبوعين والمتكلّفين

رأي ابن قتيبة من الآراء الهامّة التي يجب الوقوف عندها في قضيّة المتكلّف والمطبوع حيث أطال النظر الكثير من النّاقدين والأدباء في آراء ابن قتيبة نظراً لرؤية هذا الأديب النّفاذة في تحليله النّقدي. عرّف ابن قتيبة المصطلحين بهذا التعريف:

«ومن الشّعراء المتكلّف والمطبوع، فالمتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثّقاف، ونقّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النّظر بعد النّظر، كزهير و الحطيئة. وكان الأصمعي يقول: زُهير والحطيئة وأشباههما عبيدُ الشّعر، لأنّهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول: خيرُ الشّعر الحولي المحكك. وكان زهير يسمّى كبر قصائده الحوليّات.»[٢٢]

أصبح هذا الشّاهد أي حديث الأصمعي الكلام الرّئيس في الحدّ بين المطبوع والمتكلّف والكلام الذي استشهد به معظم النقّاد والأدباء. يعتقد ابن قتيبة بأن التكلّف في الشّعر يتجلّى في التنقيح وطول التّفتيش وإعادة النّظر وعندئذ يكون التكلّف في

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

هذا التعريف مقابل الطّبع بحيث يستغرق قرض الشّعر زمناً كثيراً من الوقت لتعديل وتنقيح يستدعي إعادة النّظر والدّقّة. ويُلاحظ بأن ابن قتيبة لم يذكر مصطلح الصنعة أو المصنوع و«معارضة ابن قتيبة للطّبع بالتكلّف بدل الصّنعة كما هو شائع دليل على غموضٍ في تطوّر القضيّة، واختلاف في استخدام الطّرفين الدّالين عليها وفي المراوحة بين المترادفات المعبّرة عن كلّ طرف.»[۲۳] ولم يكن بعض النقّاد الأخر بمستثنين عن هذا الأصل كالمرزباني وابن سنان الخفاجي.[۲۴]

يعتقد شوقي ضيف بأن «هذا التّقسيم من حيث هو صحيح، لكن ينبغي أن نتلقّاه بشيء من الحذر، فإنّ هؤلاء المطبوعين لم يكونوا يلغون التكلّف إلغاء، كما أنّ هؤلاء المتكلّفين لم يكونوا يلغون الطّبع إلغاء، ولذلك كنّا نرى أن نعمّم التكلّف في الشّعر القديم ونجعله على درجات يبلغ أعلاها عند زهير.»[۲۵] والحقيقة يجب أن نتوقّف هنا ونقول بأن وضع الحدّ بين المطبوع والمصنوع يصعب بين عدّة قصائد فكيف نستطيع أن نضع حاجزاً بين الشّعراء المطبوعين والشّعراء المتكلّفين؟! لكن نؤيّد نظرة شوقي ضيف في صعوبة وبل استحالة فصل الشّعر المطبوع من ملامح التكلّف والشّعر المصنوع من الميل إلى الكلفة. يمكن القول بأنّ ابن قتيبة هو أوّل من فصل بين مصطلحي المطبوع والمتكلّف بشكل واضح وهذا الأمر ما أدّى إلى الأهميّة الأكثر لهذه القضيّة في النّقد العربي.

يقول ابن قتيبة: «وللشّعر دواعٍ تحثّ البطئ و المتكلّف، منها الطّمعُ، ومنها الشّوق، ومنها الشّراب، ومنها، الطّرب، ومنها الغضب.»[۲۶]

ذكر ابن قتيبة لكلّ من الدواعي التي أشار إليها في الشّاهد الفقرة السابقة. يعتقد ابن قتيبة بأن قرض الأشعار المتكلّفة لم تكن بمعزلٍ من تأثير العاطفة، فعاطفة الشّاعر هي التي تحثّه على قرض الشّعر وخاصّة لو كان قد طمع في شيء ليصل إليه أو شرب فلذّ له قرض الشّعر أو طرب فانتابته المشاعر أو غضب فثارت حفيظته نحو المغضوب عليه وفي الحقيقة لقضيّة المضمون والغرض الشّعري كذلك تأثير هام على الالتزام

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

بالطّبع أو التكلّف وهذا مارأيناه عند الجاحظ ولمّحنا إليه في الفقرات السّابقة. ولو انتبه القارئ إلى النّقد القديم لوجد بأن للعاطفة دورٌ مهمّ حتّى في تبويب الشّعر «هناك رأيان في الشّعر، يذهب أحدهما إلى تصنيفه بالنّسبة لأغراضه، ويذهب الآخر إلى الباعث أو العاطفة التي تحرّك الشّاعر وتدفعه إلى النّظم. وقد التزم النقّاد الناحية الأولى وقسّموا الشّعر إلى مدح وغزل ورثاء وهجاء وأضاف الرّماني الوصف. وذهب فريقٌ من النقّاد إلى عدّ العواطف والأساليب التي تليق بها وتكون نتيجة طبعيّة لها.»[۲۷] ويمكن القول بأن كلام ابن قتيبة حول البطئ والمتكلّف هو قريبٌ من رأي ابن طباطبا في الصّدق الشّعري، فكافّة المضامين التي أشار إليها ابن قتيبة تنتاب الشّاعر في أحوال غير طبيعيّة أو حالات تكون المصلحة الشّخصيّة والاستخاف العقلي والمجون داعية إلى البطئ والمتكلّف، فالشّاعر إمّا أن يكون مطبوعاً ينهل الشّعر من القلب إمّا أن يلتزم بالتكلّف ويخضع للظّروف والحاجات التي تُثير العاطفة وتستدعي الضّمير أو الشّعور، فيستنتج من كلام ابن قتيبة بأن الشّاعر المطبوع هو الذي يقرض الشّعر بعيداً كلّ البعد عن التكسّب وكذلك الطّرب والغضب وشرب الخمر فلو قال الشّعر في تلك الحالات كان الشعر دخيل إلى نفسه غير أصيل.

وكما يُشاهد من الفقرتين اللتين نقلهما الباحثان من ابن قتيبة لا يوجد ذكرٌ للمصنوع. من الشواهد الأخرى التي حدّث فيها ابن قتيبة عن المتكلّف: «والمتكلّف من الشّعر وإن كان جيّداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم، لتبيّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدّة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضّرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه.»[۲۸]

في الشّاهد ملاحظة ظريفة وهي أن سامع الشّعر المتكلّف، يحسّ بالتكلّف فيه، فمن خلال التمعّن في القوافي وتلعّب الشّاعر بالمفردات واستخدامه لاستعارات وطباقات ربّما تصعب أحياناً يمكن أن يشعر السّامع بشيء من هذا التكلّف وهذه الفقرة تُشير إلى دور المتلقّي في تمييز كلٍّ من المتكلّف والمطبوع وأشار ابن قتيبة في الفقرة

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

السّابقة إلى ملاحظة هامّة أخرى تكون ألصق وأقرب للبلاغة فالشّعر عنده يجب أن يحلّ محلّه وموقعه خالياً من الزّيادة والنّقص.

ومن الشّواهد الأخرى لابن قتيبة حول المطبوع: «والمطبوع من الشّعراء من سمح بالشّعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطّبع والغريزة، وإذا امتُحن لم يتلعثر ولم يتحرّز.»[۲۹]

يعتقد ابن قتيبة بأن الشّعر المطبوع هو ما أجادت به القريحة والبداهة، فالمطبوع يتجلّى في الارتجال وعدم تحمّل العناء والمشقّة في ترتيب الأبيات والقوافي وكذلك يتحلّى بوشي الغريزة وابتعاد الشّاعر عن التلعثر في الكلام والاحتراز وكما أكدت الشّواهد السّابقة، يلزم الشّاعر المتكلّف التكلّف في كلٍّ من الظّاهر والمعنى فهو في اختياره للضّرورات الشّعريّة متكلّف وفي حديثه عن معان لم تكن مرتبطة بالموضوع الذي هو مدار الغرض الشّعري متكلّفٌ أيضاً وأمّا الشّاعر المطبوع فهو مطبوع في لفظه ومعناه فلم يكن هناك شاعر يستلهم الغرض الشّعري من طبعه ويتكلّف في عرضه أو يكون التكلّف باعث وداع لاختيار موضوع جديد يموج الطّبع في تقديمه وعرضه فهذا التكلّف والطّبع في ذات الشّاعر التي تقع أمام نفس المتلقّي لتنال رضاه «ومن ثمّ فقد يكون للمتلقّي جانب مهم في إبراز روعة الشّعر المطبوع من عدمها، فهو الذي يقطع بجمال هذا النّوع من الشّعر أو قبحه، فقد تمكنه ثقافته بالشّعر ودرايته به؛ من أن يتمسلح ما قاله هذا الشّاعر في الغزل ويستقبح ما قاله في المديح.»[۳۰] والحقّ أن كلام ابن قتيبة حول دور المتلقّي في تحديد المطبوع والمصنوع يُشير إلى ثقافة النّاقد الموسّعة ونظرته المفتوحة بالنّسبة إلى النّقد الجامع والموسّع الأطراف.

وأمّا بالنّسبة إلى رأي ابن قتيبة في علاقة الغرض الشّعري بالطّبع والتكلّف، فهو يقول: «والشّعراء أيضاً في طبع الشّعر مختلفون: منهم من يسهُل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسّر له المراثي ويتعذّر عليه الغزل.»[۳۱]

يبدو أن ابن قتيبة درس قضيّة الأغراض الشّعريّة وربطها بالمطبوع والمتكلّف

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

بتسامح فهو خالف الجاحظ في وضع شعراء المدح في فئة المتكلّفين، يعتقد ابن قتيبة بأنّ سهولة المديح و عسرة الهجاء لدى الشّعراء المطبوعين ربّما تكون مستنتجة عن تلك الفترة الزّمنيّة القصيرة التي يتّخذونها ليعبّروا عن رأيهم في الموضوع والمضمون المنتقاة فقرض الشّعر في المديح هو ما يتخلّص في التعبير عن صفات الممدوح وهي الجود والسّماحة والعلم والفضيلة والشّجاعة و أمّا الهجاء فكيف يهجو الشّاعر من لايعرفه ولم ير منه نقيصة والمراثي كذلك هي وصف الحزن والألم والفراق أمّا الغزل فربّما يحتاج إلى تريّث في جماليّات المتغزّل منه و إمعان نظر في ملامح حسنه وجماله.

ويمكن القول بأنّ ابن قتيبة أشار إشارة عابرة إلى المصدر الرّئيس للشّعر المطبوع لكنّه لم يتوقّف عند هذا المصدر ورجّح أن يزيد القارئ بمعلومات أخرى عن الطّبع والتكلّف: «وللشّعر تارات يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريّضه، وكذلك الكلام المنثور في الرّسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذّر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب. ولايعرف لذلك سبب، إلّا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم»[٣٢] تعدّ الغريزة أهمّ الدّواعي لقرض الشّعر عند الشّعراء المطبوعين فتساعد هذه القوّة على طرح التكلّف والتريّث على جانب وأن يبدع الشّاعر ويصنع من الشّعر ما يستسيغه ويعجبه و«تُقابل لفظة (الطّبع) عند ابن قتيبة ما سمّاه الجاحظ الغريزة، وهذه الثّنائيّة ترد على ابن قتيبة إذ يقول في تعليله عسر قول الشّعر (من عارض يعترض على الغريزة) أي يؤثّر في الطّبع.»[٣٣] ومن خلال دراسة آراء ابن قتيبة يبقى مكان الصّنعة فارغاً يشعر به القارئ، لكن نظراً للتعاريف التي يلقيها النّاقد عن الشّعر المتكلّف، وهي تقترب من التّعاريف التي ألقاها الجاحظ حول المصنوع، يمكن القول بأن ابن قتيبة يقصد بالمتكلّف الشّعر المصنوع الذي تحدّث عنه الجاحظ وابن رشيق ولعلّ «رشح الجبين» و«مرور فترة زمنية غير قصيرة» من أهّم ميزات هذا الشّعر المشتركة بين كلّ من الجاحظ وابن قتيبة.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

من الملاحظات التي نستنتجها من آراء ابن قتيبة هي أن ابن قتيبة لايذمّ الشّعر المطبوع و لايعلي من شأن الشّعر المتكلّف، بل هو يعتقد بأن لكلّ من المصنوع و المطبوع مكانة و شعراء استخدموهما و كذلك أجادوا فيهما و هذا يعني أن الشّعر المتكلّف والمصنوع يعدّان من الطّراز الشّعري المقبول لدى النقّاد وبالنّسبة إلى تأثير الفترة التاريخيّة في دراستنا لآراء ابن قتيبة يمكن القول بأنّ ابن قتيبة تجاوز نظرة الجاحظ في ترجيحه الشّعر المطبوع على المصنوع وهذا الأمر حدث في ظروف لم تكن هناك فاصلة زمنيّة بين الجاحظ وابن قتيبة ولعلّنا هذا الأمر قد يكون صادراً عن تشبّث الجاحظ بانحيازه إلى الفترات القديمة للشعر العربي والبيئة الجاهلية، بينما يكون ابن قتيبة أكثر إشعاراً بالنسبة إلى التطوّرات التي حدثت في العصر والشّعر.

ابن رشيق بين المطبوع والمصنوع والمتكلّف

ابن رشيق من النّقاد الأخر الذين آلوا اهتماماً خاصّاً بالنّسبة إلى تبويب الموضوعات النّقديّة والتطرّق إليها، منها قضيّة الطّبع والصّنعة ففصل ابن رشيق باباً في العمدة تحدّث فيه عن المطبوع والمصنوع. بدأ ابن رشيق حديثه عن المطبوع والمطبوع بهذه الفقرة:

«ومن الشّعر المطبوع والمصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً وعليه المدار. والمصنوع وإن وقع عليه هذا الإسم فليس متكلّفاً تكلّف أشعار المولّدين، لكن وقع فيه هذا النّوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولاتعمّل، لكن بطباع القوم عفواً فاستحسنوه ومالو إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتّى صنع زهير الحوليّات على وجه التنقيح والتثقيف.»[۳۴]

يمكن القول بأنّ ابن رشيق هو أوّل من انتبه إلى جدليّة الإستخدام لبعض المصطلحات في باب المصطبوع والمصنوع فهو يصرّح بالفرق القائم بين المصنوع والمتكلّف والمطبوع وبهذا الكلام ميّز بين المصطلحات الثّلاث فوضع المصنوع مقابل المطبوع وهو يعتقد بأن تسمية المصنوع جاءت من غير قصد ولاتعمّل،

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

والمتكلّف هو الذي كثر فيه التكلّف والذي قد يعرض على الشّعر المصنوع وفي بعض الأحيان المطبوع.

يذكر ابن رشيق للقارئ بعض الشواهد لشعر الحطيئة المصنوع والمحكم الذي نال إعجاب العرب؛

فلا وأبيك ما ظلمت قريعٌ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
ولا وأبيك ما ظلمت قريعٌ ولا بَرموا لذاك ولا أساءوا
بعثرة جارهم أن ينعشوها فيغبر حوله نعم وشاءُ
فيبنى مجدهم ويقيم فيها ويمشى إن أُريد به المشاءُ[٣٥]

ويقول ابن رشيق بأن صنعة الحطيئة في الأبيات السابقة تشبه الصنعة التي استخدما زهير فيقول: «يصنع (زهير) القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض.» فالأبيات السابقة هي تمثّل الصنعة المقبولة عند ابن رشيق أما بالنسبة إلى الأشعار المتكلّفة فيعتقد ابن رشيق بأن أشعار المولّدين تعدّ من نماذج الشّعر المتكلّف. يمكن أن نستنتج من كلام ابن رشيق بأن كلّ متكلّف مصنوع أي بمعنى أنّ صفة الصّنعة تتسرّب في الشّعر المتكلّف بينما بعض المصنوع فقط يمكن أن يتميّز بصفة التكلّف وهذه الصّفة لا تعدّ من الدّعائم الرّئيسيّة للمصنوع:

«ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثمّ وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لن تؤثّر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمّل كان المصنوع أفضلهما، وإلّا أنه إذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعاً واتفاقاً؛ إذ ليس ذلك

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

في طباع البشر. وسبيل الحاذق بهذه الصّناعة إذا غلب عليه حب التصنيع أن يترك للطّبع مجالاً يتّسع فيه»[۳۶].

يعتقد ابن رشيق بأن المطبوع في اللفظ وفي المعني يمكن أن يقارنه مصنوع آخر لكن ربّما يكثر التكلّف في هذا البيت المصنوع ولو كثر التكلّف يُفقد البيت جذبيّته وأدبيّته فيخرج من إطار الطبعيّة ولم يجز البتة أن يكون طبعاً واتّفاقاً حيث يعتقد ابن رشيق بأن اتّفاق المصنوع والمطبوع أمرٌ يصعب على الإنسان فصفة «الاعتدال» في استخدام المصنوع من أهمّ الصّفات التي يجب أن ينتبه إليها قارئ ابن رشيق ومتتبّع خطاه و«يُفهم من رأي ابن رشيق أنّه يجوز للشّاعر أن يصنع في شعره وأن المصنوع قد يصل إلى مرتبة المطبوع عندما يحتاج إلى الصّنعة الخفيّة التي لايعرفها إلّا النّاقد البصير الذي يعلم كذلك أن المتكلّف هو الدرجة الدّنيا من الإبداع، لأنّه يفتقر إلى الفحولة والقدرة والدّافع، لذلك لايتعلّق بالمطبوع والمصنوع.»[۳۷] ولاشك أنّ رأي ابن رشيق في قضيّة الطّبع والصّنعة لم يكن بمعزلٍ من التّأثير الذي خيّم على شتّى مناحي الفكر والرّؤى بسبب تلاقح الحضارات والتعرّف على الثّقافات الجديدة فهو يقدّم رأيا يفوق رأي كلٍّ من الجاحظ وابن رشيق و«يعد العصر الصنهاجي العصر الذهبي لإفريقية وقد كان لأمراء البيت الصنهاجي أكبر الاثر في ازدهار ونهوض، بما عرف عنهم من حب للعلم وتشجيع للعلماء وإغداقهم الأموال على العلماء والأدباء ولكل هذا صارت القيروان أيام المعز قبلة الطلاب ووجهة العلماء والأدباء وقدنعمت في ظلال العصر الصنهاجي بأزهى عصورها الفكرية والثقافية وفي تلك الفترة كان ابن رشيق من المقربين للمعز وأحد ندمائه الذين نعموا برعايته وعنايته»[۳۸] (عويضة، ۱۹۹۳، ۱۹) ويكون ابن رشيق في آرائه أكثر قرابة إلى الشّمولية والرؤية التي يصحّ عليها العقل والمنطق. فهو يرى بأن الكلفة أمر عارضي يعرض على الشّعر المصنوع الذي يضعه ابن رشيق أمام الشّعر المتكلّف.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

ومن الشّواهد الأخرى التي يمكن أن يُشار إليها في العمدة هي قوله: «واستطرفوا ما جاء من الصّنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد، يستدل بذلك على جودة شعر الرّجل، وصدق حسّه، وصفاء خاطره؛ فأمّا إذا كثر ذلك فهو عيبٌ يشهد بخلاف الطّبع، وإيثار الكلفة.»[۳۹]

يعتقد ابن رشيق بأنّ الصّنعة يجب أن تكون كالومضة التي تنير الأبصار لمدّة محدّدة فقط، ولذلك فالصّنعة عنده تقع في بيت أو بيتين من القصيدة وتأتي لتبيّن مدى مهارة الشّاعر على ترتيب المفردات واستخدام الصّنعات البديعيّة و«دليل فنيّة القصيدة أن تبدو كأنّها صادرة عن غير قصد أو تعمّد، ومن ثمّ فإنّ الشّاعر إذا أسرف في تصنيع القصيدة، أو جعلها كلّها مصنّعة وقع في دائرة المصنّع المعيب المناقض للطّبع ويكون عمله غير فنّي لصدوره عن قصدٍ وتعمّد.»[۴۰] ويقسّم ابن رشيق الصّنعة على ثلاثة أقسام؛ إمّا أن يأخذ الشّاعر التّصنيع المحكم طوعاً وكرهاً فيأتي للأشياء ويطلبها بقوّة، وإمّا أن يكون الشّاعر أملح صنعة فلا تظهر عليه كلفة أو مشقّة وإمّا أن تكون الصّنعة خفيفة لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشّعر. نتوقّف الآن عند رأي ابن رشيق بالنّسبة إلى الصّنعة الحسنة والمقبولة:

«ولا أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنّعاً من عبد الله بن المعتز فإنّ صنعته خفيّة لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلّا للبصير بدقائق الشّعر، وهو عندي ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً، وأقربهم قوافي وأوزاناً. ولا أرى وراءه غاية لطالبها في هذا الباب، غير أنّا لا نجد المبتدئ في طلب التّصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالبة شعر حبيب وشعر مسلم ابن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها، ولأنّهما طرّقا إلى الصّنعة وومعرفتها طريقاً سابلة، وأكثرا منها في أشعارهما تكثيراً سهّلها عند النّاس وجسرهم عليها.»[۴۱]

نستنتج من الشّاهد بأنّ الصّنعة لم تكن مردودة وغير مقبولة عند ابن رشيق فهي حسنة شرط أن يتخذها الباحث على مقدارها، ولم تقع كذلك مقابل الطّبع نهائيّاً، بل

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

بإمكانها أن تُساعد الطّبع في وقعه المؤثّر، ولذلك استحسن ابن رشيق صنعة ابن المعتز لأنّها ظهرت خفيّة لطيفة ولم تظهر بكثرة في أشعاره. يمكن القول بأن آراء ابن رشيق في القضايا النّقديّة أتت إثر خروجه من إطار النّقد القديم في تفضيل القديم على الجديد، أو الطّبع على الصّنعة أو المعنى على اللفظ «وتتمثّل جرأة ابن رشيق في مخالفته للآراء المألوفة المرويّة عن كبار النقّاد. كما تتمثّل في أحكام له لايخاف من الجهر بها.»[۴۲] فحاول ابن رشيق أن يسلك المسار العقلاني والمنطقي في حلّ القضايا النّقديّة «وإذا فالصّنعة عند القدماء غيرها عند المحدثين؛ فصنعة العرب هي العناية بالمراجعة والتنقيح لإتقان بنية الشّعر، وإحكام القوافي، وبسط المعنى وإبرازه، أمّا صنعة المحدثين فإنّها تهدف من المراجعة إلى الزّينة اللفظيّة من قبيل الجناس، والمقابلة والمطابقة.»[۴۳]

ومن الميزات الهامّة الأخرى لابن رشيق هي أنّه يميّز بين الصّنعة في الشّعر المتكلّف تكلّف المولّدين وبين الشّعر المثقّف والمنقّح، والذي هو على مذهب زهير ومن تتبّع خطاه فيفهم من أقوال ابن رشيق بأنّه لم يكن تكلّف المولّدين كلّه مقبولٌ لديه ولدى عامّة النّاس فيحايد ابن رشيق إلى الصّنعة التي تأتي بمقدار محدّد وتساعد على تقوية الشّعر المطبوع و«مفهوم الصّنعة مرتبطٌ بالتّثقيف، ولايُقابل المطبوع أو يُباينه، إنّما هو يسمو ليضيف حسنة أخرى للمطبوع. فالصّنعة هنا مقابلة للتصنّع، وقد يقصد بالصّنعة ثقافة الشّاعر التي تنضاف إلى موهبته.»[۴۴] وبهذا توخّى ابن رشيق الشّعر المليء بالبديع والمحسّنات التي تصعب وتتكلّف أحياناً.

من الملاحظّات التي يمكن أن نصل إليها بقراءة العمدة لإبن رشيق هي علاقة الغرض الشّعري بالمطبوع والمصنوع، فلم يغفل ابن رشيق عن هذه القضية التي أشار إليها كلّ من تناول قضيّة الطّبع والتكلّف لكن لم يصرّح عنها في باب المطبوع والمصنوع بل في بداية الكتاب وفي باب آخر:

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

«فأمّا من صنع الشّعر فصاحة ولساناً، وافتخاراً بنفسه وحسبه، وتخليداً لمآثر قومه، ولم يصنعه رغبة ولارهبة، ولامدحاً ولا هجاءً.. فلا نقصٌ عليه، بل هو زائدٌ في أدبه وشهادة بفضله، كما أنّه نباهة لذكر الخامل، ورفع لقدر السّاقط»[۴۵] ويتّضح من كلام ابن رشيق بأنّ الشّعر الفخري الذي قرض بقصد تخليد مآثر القوم ويؤكد بأن الشّاعر لم يصنعه رغبة ولا رهبة ويبدو أن هذان المصطلحان يُساعدان على وضع هذا الطّراز الشّعري ضمن قائمة الشّعر المصنوع، يُمكن أن يبلغ درجة الشّعر المطبوع في الفضل وحلول الدّرجة الفائقة من الشّعر وبهذا يبدو أن ابن رشيق تخطّى كافّة القيود التي حدّدت الأغراض الشّعريّة وقسّمتها بين الشّعر المطبوع والمصنوع لكنّه لم يكن قد تحرّر من هذه القيود بالكامل فهو يحكي عن الأغراض الأخرى أي الشّعر الذي يطلق من الرّغبة والرّهبة والمدح والهجاء.. فيبدو أنّ النّاقد قدّ صحّ على أنّ هذه الأغراض بإمكانها أن تعدّ من الأغراض الشّعريّة التي تتطلّب الصّنعة.

النّتائج

تختلف رؤية الجاحظ بالنّسبة إلى النّاقدين ابن قتيبة وابن رشيق. فالجاحظ في تحليله للشّعر المطبوع والمتكلّف لم يبتعد عن رؤيته القريبة من أفكار العرب القدامى والجاهليين بينما تحكي دراسة ابن قتيبة لقضيّة المطبوع والمتكلّف عن رؤية النّقاد المنفتحة وابتعاده عن فكرة القديم والجديد فحاول النّاقد أن يبرهن للالتزام بكلّ من المطّبع والتكلّف عند الشّعراء. أمّا ابن رشيق فهو اختزل منحى آخر بحيث تأثّر بالآراء المنطقيّة التي تحكي عن سعة ثقافته فهو يقرّ تماماً بالشّعر المصنوع. وهو كسر الحواجز في دراسته للمطبوع والمتكلّف فخصّص باباً يحمل عنوان المطبوع والمصنوع. نظر ابن رشيق إلى قضيّة المطبوع والمتكلّف نظرة فنّية لا تعلي من شأن كلّ من المطبوع والمصنوع فهو جعل الكلفة أمراً عارضيّاً قد يعرض للشعر المصنوع وقسم ابن رشيق الصّنعة على ثلاثٍ وفضّل واحدة منها على الصّنعتين الأخرتين. يعتقد الباحثان بأنّ لهذه

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

السّيرورة التاريخيّة أثر هامٌ في تحكك التّعاريف ووصولها إلى رأي أجمع وأكثر فنيّة. فهناك فرقٌ شاسع بين رأي الجاحظ وابن رشيق ولاشكّ أنّ العقليّة التي قرّ بها كلٌّ من النّقاد تختلف عن الآخر في دراستهم لقضية الطّبع والتكلّف.

تعدّ العاطفة من العناصر الهامّة التي تكون في علاقة مباشرة في مطالعة قضيّة المطبوع والمتكلّف فظهر تأثير العاطفة في آراء كلّ من النقّاد الثّلاثة. وفق ما استنتجه الباحثان كادت تصبح العاطفة عند الجاحظ بمثابة المعيار الرّئيسي للفصل بين الشّعر المطبوع والشّعر المتكلّف وظهرت أهميّة عنصر العاطفة عند ابن قتيبة في دراسته للمطبوع والمتكلّف. قد تكون مفردة «الدّواعي» التي استخدمها ابن قتيبة والتي تحثّ البطئ والمتكلّف تدلّ على عاطفة الشّاعر فالطّمع والطّرب والغضب من الصّفات التي تكون في ترابطٍ وثيق مع العاطفة. فالشّاعر إمّا أن يكون مطبوعاً تحركه عاطفته نحو ما يُحب وإمّا أن يكون متكلّفاً يستدعي الظّروف التي تحرّك العاطفة بعد ريثٍ من الزّمن. يُشاهد كذلك بأنّ ابن رشيق لمّح إلى الأسباب التي تكون مستنتجة من عاطفة الشّاعر فـ "صدق الحس" و"صفاء الخاطر" من المصطلحات التي استخدمها للتعبير عن رأيه في هذا الأمر.

الأغراض والموضوعات الشّعريّة من الموضوعات الهامّة التي تناولها كلّ من النقّاد الثّلاثة في دراستهم قضيّة المطبوع والمتكلّف وهي بمثابة المعيار الثّاني للتميز بين الشّعر المصنوع والمتكلّف. هذا المعيار ظهر بوضوح أكثر عند ابن قتيبة وابن رشيق بالنّسبة إلى الجاحظ. يعتقد ابن قتيبة بأنّ الأغراض الشعريّة تؤثّر على الالتزام بكلٍّ من المطبوع والمتكلّف إلّا أنّه يحترز من تقسيم كلّ الأغراض في المتكلّف أو المطبوع ويرى أن هناك اختلاف بين الشّعراء في ذلك. يعتقد ابن رشيق بأنّ للغرض الشّعري دورٌ لا يُنكر. المدح والهجاء عند هذا النّاقد من الأغراض التي تُصنّف في قائمة الشّعر المصنوع ولذلك يعتقد بأنّ المدح لو كان صادراً من صميم قلب الشّاعر وبعيداً عن التكسّب فبإمكانه أن يشهد على فضل الشّاعر.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

يعتقد الباحثان بإن دراسة آراء كلّ من النّقاد ولو عاشوا فترة واحدة من الزّمن، بقصد المفاضلة بين كلّ من المطبوع والمصنوع والمتكلّف أمر غير ضروري، فنظراً للظّروف التي شهدها النّقد العربي القديم، كان لكلّ ناقدٍ مناصروه وكان لكلّ ناقد رؤى وأفكار وخلفيّات ثقافيّة دافع عنها ويعتقد الباحثان بأن دراسة قضيّة الطّبع والتكلّف أو الصّنعة وخاصة في العصور النّقديّة المختلفة تُساعد المتلقّي على إدراك أثر سيرورة التّاريخ على تطوّر النّقد العربي وأن القضيّة النّقديّة كيف تتعرّض للتغيير والتنقيح ورؤى مختلفة تكاد تصبح أكثر شمولاً.

الهوامش

١. هيرش محمّد أمين وسعدون حميد صالح، **قراءة أخرى لمعياري الطّبع والصّنعة في القرن الثّالث الهجري**، ص ١٨٩.

٢. بدر محمّد إبراهيم، **اتّجاهات الشّعر الجاهلي في النّقد العربي القديم والحديث**، ص ۶۶.

٣. القاضي الجرجاني، **الوساطة بين المتنبّي وخصومه**، ٢٥.

۴. إبراهيم بن علي الحصري، **زهر الآداب وثمر الألباب**، ٣٩٥ و٣٩۶.

۵. أبو علي أحمد بن محمّد المرزوقي، **ديوان الحماسة**، ص ١٢.

۶. ابن منظور، **لسان العرب**، ص ٣٩١٧.

٧. حازم القرطاجني، **منهاج الأدباء وسراج البلغاء**، ص ٢٢٣.

٨. أبو سهل الحسن بن عبد الله العسكري، **الصّناعتين "الكتابة والشّعر"**، ص ٥٠.

٩. المصدر نفسه.

١٠. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢، ص ٨.

١١. بوعامر بوعلام، **جدل الطّبع والصّنعة في النّقد العربي القديم "دعوة إلى إعادة نظر"**، ص ٥٠.

١٢. الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٥.

١٣. عصام قصبجي، **أصول النّقد العربي القديم**، ص ٥.

١۴. ينظر: الدّينوري، ابن قتيبة، ۶۴.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

١٥. ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢، ص ١٣.

١٦. المصدر نفسه، ٢، ص ١٣.

١٧. هيرش محمّد أمين وسعدون حميد صالح، **قراءة أخرى لمعياري الطّبع والصّنعة في القرن الثّالث الهجري**، ص ١٩١.

١٨. ناصر الحاني، **النّقد الأدبي وأثره في الشّعر العبّاسي**، ص ١٠١.

١٩. المصدر نفسه، ص ٩.

٢٠. شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشّعر العربي**، ص ٢١.

٢١. الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢، ١٤.

٢٢. ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، ص ٧٨.

٢٣. بوعامر بوعلام، **جدل الطّبع والصّنعة في النّقد العربي القديم "دعوة إلى إعادة نظر"**، ص ٥٧.

٢٤. يُنظر: عبد الحميد معيفي وطارق زيناي، **قضيّة الطّبع والصّنعة وتجلّياتها في النّقد الأدبي القديم**، ص ٢٥٠ و ٢٥٣.

٢٥. شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشّعر العربي**، ص ٢١.

٢٦. ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، ص ٧٨.

٢٧. ناصر الحاني، **النّقد الأدبي وأثره في الشّعر العبّاسي**، ص ٩٧.

٢٨. ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، ص ٨٨.

٢٩. المصدر نفسه، ص ٩٠.

٣٠. إسماعيل حسين فتافيت، **قضيّة الطّبع والتكلّف في التراث النّقدي**، ص ٩٩.

٣١. ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، ص ٩٣ و٩٤.

٣٢. المصدر نفسه، ص ٧٩.

٣٣. إحسان عبّاس، **تاريخ النّقد الأدبي عند العرب**، ص ١١٠.

٣٤. أبو علي بن الحسن القيرواني إبن رشيق، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، ص ١٢٩.

٣٥. ينظر؛ المصدر السّابق، ص١٢٩.

٣٦. المصدر نفسه، ص ١٣١.

٣٧. مصطفى درواش، **خطاب الطّبع والصّنعة "رؤية نقديّة في المنهج والأصول"**، ص ٣٩.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

۳۸. عويضة، **ابن رشيق القيرواني**، ص ۱۹.
۳۹. ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، ص ۱۳۰.
۴۰. حسن البنداري، **الصّنعة الفنيّة في التراث النّقدي**، ص ۷۷.
۴۱. إبن رشيق، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، ص ۱۳۰.
۴۲. إحسان عبّاس، **تاريخ النّقد الأدبي عند العرب**، ص ۴۵۲.
۴۳. بدر محمّد إبراهيم، **اتّجاهات الشّعر الجاهلي في النّقد العربي القديم والحديث**، ص ۶۶.
۴۴. مصطفى درواش، **خطاب الطّبع والصّنعة "رؤية نقديّة في المنهج والأصول"**، ص ۴۱.
۴۵. ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، ص ۴۱.

المصادر

- إبراهيم، بدر محمّد، «اتّجاهات الشّعر الجاهلي في النّقد العربي القديم والحديث»، **الدوريّات المصريّة**، المجلّد السّابع، العدد الأوّل، صفحة ۵۷- ۱۱۵، ۲۰۱۸.
- ابن رشيق، أبي علي الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، تحقيق وتعليق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، الطّبعة الثّانية، مصر: مطبعة دار السّعادة، ۱۹۵۵.
- ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، القاهرة: دار المعارف، ۱۱۱۹.
- ابن منظور، **لسان العرب**، القاهرة: دار المعارف، ۱۱۱۹.
- أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري، **زهر الآداب وثمر الألباب**، ترجمة وتحقيق زكي مبارك، الطّبعة الرابعة، لبنان: دار إحياء الكتب العربيّة، ۱۹۲۵.
- أمين، هيرش محمّد وصالح، سعدون حميد، «قراءة أخرى لمعياري الطّبع والصّنعة في القرن الثّالث الهجري»، **Journal of University of Garmian**، الرّقم ۶، عدد ۲، ۲۰۱۹.
- البنداري، حسن، **الصّنعة الفنيّة في التراث النقدي**، الطّبعة الأولى، مركز الحضارة العربيّة للنّشر، ۲۰۰۰.
- بوعلام، بوعامر، «جدل الطّبع والصّنعة في النّقد العربي القديم، دعوة إلى إعادة نظر»، **مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات**، المجلّد ۷، العدد ۲، صفحة ۴۷-۵۹، ۲۰۱۴.
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو ابن بحر، **البيان والتّبيين**، تحقيق وترجمة عبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة السّابعة، القاهرة: مكتبة الخانجي للنّشر، ۱۹۹۸.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

- الجرجاني، أبو الحسن، **الوساطة بين المتنبّي وخصومه**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، علي محمّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي حلبي، ۱۹۶۶.
- الحاني، ناصر، **النّقد الأدبي وأثره في الشّعر العبّاسي**، مطبعة بغداد، ۱۹۹۵.
- درواش، مصطفى، **خطاب الطّبع والصّنعة (رؤية نقديّة في المنهج والأصول)**، دمشق: منشورات اتّحاد الكتاب العرب، ۲۰۰۵.
- ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة: نشر دار المعارف، ۱۱۱۹.
- عبّاس، إحسان، **تاريخ النّقد الأدبي عند العرب (نقد الشّعر من القرن الثّاني حتّى القرن الثّامن الهجري)**، الطّبعة الرابعة، بيروت: نشر دار الثّقافة، ۱۹۸۳.
- العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، **الصّناعتين، الكتابة والشّعر**، تحقيق علي محمّد البجّاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، طباعة دار الفكر العربي، ۱۹۷۱.
- فتافيت، إسماعيل حسين، «قضيّة الطّبع والتكلّف في التراث النّقدي»، **مجلّة كليّة الآداب**، العدد الخامس، ۲۰۱۵.
- عويضة (۱۹۹۳)، كامل محمد، **ابن رشيق القيرواني**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- القرطاجني، حازم، **منهاج الأدباء وسراج البلغاء**، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة، تونس: منشورات دار الغرب الإسلامي، ۱۹۶۶.
- قصبجي، عصام، **أصول النّقد العربي القديم**، منشورات جامعة حلب، ۱۹۹۱.
- المرزوقي، أبو علي أحمد ابن محمّد (۱۹۹۱)، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق أحمد أمين وعبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الأولى، لبنان: دار الجيل للنّشر.
- معيفي، عبد الحميد وزيناي، طارق، «قضيّة الطّبع والصّنعة وتجلّياتها في النّقد الأدبي القديم»، **مجلّة آفاق للعلوم**، المجلّد ۵، العدد ۳، صفحة ۲۴۶- ۲۵۸، ۲۰۲۰.

The Sources and References:

- Ibrahim, Badr Muhammad, **Pre-Islamic Poetry Approaches in Ancient and Modern Arabic Criticism**, Vol.7 , No. 1, pp. 57-115. 2018.
- Ovaizah, kamel mohammad, **Ibn Rachik Al-Kairwani**, Beirut :Dar al-Katb al-Alamiya, Fourth edition, 1993.
- Ibn Rachik, Abi Ali Al-Hassan Al-Kairwani , **Al-Umda In Poetry and**

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

Criticism, Edited and Commented by Muhammad Mohi Al-Din, Abdel Hamid, Egypt: Al-Saada Press, second edition. 1955.

- Ibn Qutaybah, **Poetry and Poets**, Edited and Interpreted by Ahmad Muhammad Shakir, Cairo: Dar Al Maaref Publications, 1119.
- Ibn Manzur, **Lisan Al-Arab**, Cairo: Dar Al Maaref, 1119.
- Abu Ishaq Ibrahim bin Ali Al-Husari, **The Blossom of Arts and the Fruit of the Mind**, Translated and researched by Zaki Mubarak, Beirut, Lebanon, 4th edition. 1925.
- Amin, Hirech Muhammad and Salih, Saadoun Hamid, **A Different Reading of the Standards of Printing and Workmanship in the Third Century AH**, Journal of the University of Garmian, No. 6, No. 2. 2019.
- Al-Bandari, Hassan, **Literary Art in Critical Heritage**, The Arab Civilization Center for Publishing, First edition. 2000.
- Boualem, Bouamer, **The Conflict Between Printing and Literary Art in Ancient Arab Criticism,** A Call for Reconsideration, Al-Wahat Journal for Research and Studies, Vol. 7, No. 2, pg. 47-59. 2014.
- Al-Jahiz, Abi Othman Amr Ibn Bahr, **Book of Clarity and Clarification**, edited and translated by Abdel Salam Muhammad Haroun, Seventh edition, Cairo: Al-Khanji Publishing Library, 1998.
- Al-Jarjani, Abdel-Qaher, **Mediation between Al-Mutanabbi and his Opponents**, Researched by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ali Muhammad Al-Bajawi, Issa Al-Babi Halabi Publications, 1966.
- Al-Hani, Nasser, **Literary Criticism and Its Impact on Abbasid Poetry**, Baghdad Publications, 1995.
- Darwish, Mustafa, **Discourse on Printing and Literary Work (A Critical Perspective on Methods and Origins)**, Damascus: Arab Writers Union Publications, 2005.
- Daif, Shawqi, **Art and Its Doctrines in Arabic Poetry**, Cairo: Dar Al Maaref Publishing, Eleventh edition. 1119.
- Abbas, Ihsan, **The History of Literary Criticism among the Arabs (criticism of poetry from the second century to the eighth century AH**, Beirut: Dar Al-Thaqafa, Fourth edition. 1983.
- Al-Askari, Abi Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl, **The Two Arts, Prose and Poetry,** Researched by Ali Muhammad Al-Bajjawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, printed by Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1971.
- Fatafit, Ismail Hussein, **The Issue of Printing and Complex in the Critical Heritage**, Journal of the Faculty of Arts, No. 5. 2015.
- Al- Qartajanni, Hazim, **Minhaj al-Bulagha and Siraj al-Udaba**, Researched by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khouja, Dar Al-Gharb Al-Islami Publications, Tunisia. 1966.
- Kasabji, Issam, **The Origins of Old Arab Criticism**, Aleppo University

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

Publications, 1991.
- Al-Marzouki, Abu Ali Ahmed Ibn Muhammad, **Explanation of the Office of enthusiasm by Almarzouqi,** Researched by Ahmed Amin and Abdel Salam Muhammad Haroun, Lebanon: Dar Al-Jeel Publishing, First edition. 1991.
- Maifi, Abdel Hamid and Zenai, Tariq, **The Issue of Printing and Literary Work and its Manifestations in Ancient Literary Criticism,** Afaq Journal for Science, Vol. 5, No. 3, p. 246-258. 2020.

Archive of SID.ir

Archive of SID.ir

Abstract

study of Simple and Complex Issue in Ancient Arabic Literary Criticism "Al-Jahiz, Ibn Qutaybah and Ibn Rashiq Viewpoints"

Ali Pourhamdanian*
Hojjat Rasooli**

Simple and complex issue is one of the most important dual issues of literary criticism that forms a great portion of ancient Arabic literary criticism. There have been offered multiple definitions of simple and complex by critics, and subsequently, in the new era of literature, many studies have been conducted by scholars on this issue. These studies tried to explain and analyze the views of each of the old critics, which itself, indicates the importance of research on this matter. The relationship between the purpose and content of poetry and the effect of historical trends on the development of simple and complex concepts and even complex itself, is one of the topics that critics have not written comprehensive works on. This study has dealt with the effect of historical period, people's opinion and the development of society in restricting each of these two, i.e. simple and complex concepts. The impressibility from logical opinions that the connection and discourse of civilizations has been the main cause in acknowledging the existence of complex poetry, the relationship between the purpose and content of the poem and the simple and complex poem has also been considered in this study. This article seeks to take a different look at Al-Jahiz, Ibn Qutaybah and Ibn Rashiq views on the simple and complex issue, based on descriptive-analytical research method. In this research, the researcher gathers the evidence of examples related to the simple and complex issues in the presence of each of the three critics and analyzes and explains them based on a critical view. Among the important results of this research, it can be pointed out that the historical period, people's opinion and the development of the critical society have had an important effect on restricting and refining the meaning of terms like simple and complex. This impact was in such a way that the impresibility from logical opinions that was the result of union of civilizations and played a significant role in the acceptance of complex poem and its beauty, became evident. Another result of this research is that the content and purpose of the poem is one of the important topics that is directly related to the simple and complex issues.

Keywords: Ancient criticism, Simple and complex, Al-Jahiz, Ibn Qutaybah, Ibn Rashiq.

* Ph.D Student of Arabic Language and Literature, Shahid Beheshti University (Corresponding Author) ali.purhamdanian@gmail.com
** Professor of Arabic Language and Literature, Shahid Beheshti University h-rasouli@sbu.ac.ir

Archive of SID.ir